

## ترجمة فصل لـ "هارتموت روزا": النقد الأخلاقي 2

## إعادة النظر في الاغتراب- لماذا يقود التسارع الاجتماعي إلى الاغتراب؟

Translation of a chapter by Hartmut Rosa :Moral Critique 2 Alienation Revisited-

## Why does social acceleration lead to alienation?

أ. هشام معافة\*

الرقم التعريفي للمقال: DOI: 10.33705/1111-018.001.002

تاريخ الاستلام: 2025-03-30 تاريخ القبول: 2025-04-18 تاريخ النشر: جوان 2025

**الملخص:** هذا النص، الذي نترجمه إلى العربية، هو محاولة لإعادة النظر في مفهوم الاغتراب كما رسم معالمه "كارل ماركس" الشاب، من خلال إعادة مناقشته في ضوء عناصر جديدة تقوم أساساً على تسارع الحياة الاجتماعية. أما الإشكال الذي يحاول "هارتموت روزا" الإجابة عنه فهو: ما هي صور الاغتراب المختلفة التي تنتج عن منطق التغيير الزمني؟ أو كيف ينبثق الاغتراب عن القوى المحركة للتسارع الاجتماعي في المجتمع الحديث؟ يجيب "هارتموت روزا" عبر تبني أطروحة جديدة تجعل من التسارع مصدراً لصور أكثر حدة من الاغتراب ترتبط بالزمان والمكان، والأشياء والأفعال، والذات والآخرين. يواجه الأفراد العالم، تحت ضغط وتيرة التسارع المتزايدة باستمرار، دون أن يكونوا قادرين على العيش فيه وتملكه بوصفه عالماً بارداً وصامتاً فقد كل بريقه.

الكلمات المفتاحية: اغتراب؛ تسارع؛ حادثة متأخرة؛ زمان؛ عالم.

**Abstract:** This article, which we are translating into Arabic, is an attempt to reconsider the concept of alienation as outlined by the young Karl Marx, by re-examining it in light of new elements based primarily on the acceleration of social life. The question that Hartmut Rosa seeks to answer is: What are the various forms of alienation that result from the logic of temporal change? Or, how does alienation emerge from the driving forces behind social acceleration in modern society? Hartmut Rosa responds by adopting a new thesis that sees acceleration as a source of more intense forms of alienation, related to time and space, objects and actions, the self and others. Under the pressure of an ever-increasing pace of acceleration, individuals face the world without being able to truly live in it or appropriate it—it appears to them as a cold, silent world that has lost all its luster.

**Keywords :** Alienation; acceleration; late modernity; time; world.

\* جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري، الجزائر، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية.

البريد الإلكتروني: hichem.maafa@univ-constantine2.dz (المؤلف المرسل).

المقدمة: (المترجم) هذا النص هو ترجمة للفصل الرابع عشر - الموسوم بالنقد الأخلاقي 2: إعادة النظر في الاغتراب- لماذا يقود التسارع الاجتماعي إلى الاغتراب؟- من كتاب "هارتموت روزا" الاغتراب والتسارع، نحو نظرية نقدية للحدث المتأخرة\*. والنص هو محاولة لإعادة النظر في مفهوم "الاغتراب" كما رسم معالمه "كارل ماركس"، حيث يستعيد "روزا" تحليله للمفهوم من زاوية أهم ملمح مميز للمجتمعات الحداثية المتأخرة وهو ظاهرة "التسارع الاجتماعي"؛ لقد أضى الزمن في عصرنا أكثر تسارعاً، يمارس ضغطاً متزايداً على حياتنا الاعتيادية، وكيفية نفهم الأمراض الاجتماعية التي يُخلفها المجتمع الحديث لابد من الاهتمام ببنائه الزمانية، لأن التسارع الاجتماعي سيرورة مخصصة بالحدث، وبقدر ما يسهم في خلق "حياة جيدة" بقدر ما يؤدي إلى الاغتراب الاجتماعي. لذلك لا ينفصل فهم منطق التسارع الاجتماعي عن ضرورة الكشف عن آليات انتاج صنوف الاغتراب الاجتماعي التي نعيشها اليوم في المجتمعات الحداثية المتأخرة.

يدفع "روزا" بتأمله حول الاغتراب إلى أقصى حدوده، معتبراً أن القوى المحركة للتسارع الاجتماعي ستتجاوز بكثير عتبات الاغتراب التي ضيق "ماركس" من مجالها، فإذا كان الأخير قد حصرها في اغتراب الانسان تجاه أفعاله والأشياء، والطبيعة والعالم الاجتماعي، فقد جعل "روزا" من الاغتراب عن الزمان والمكان صورتين مركبتين من الاغتراب داخل الحدث المتأخرة. لذلك يقلب أولويات هذا المفهوم، ويجعل مركز ثقله في العلاقة (أنا -عالم)، ويحدد الاغتراب في غير ما موضع من مؤلفاته بأنه غياب العلاقة بالعالم والذات. فهو يُعبر من جهة، عن حالة أين يفعل المرء بملء ارادته ولكن ضد ارادته الأصلية، ومن جهة أخرى، تَعَامَلْنَا -ككائنات حداثية متأخرة- أداتياً مع العالم باعتباره خزاناً للموارد، بغرض السيطرة عليه واستخدامه ببرودة، هو انكار للعالم كمجال للصدى.

إن مقارنة "هارتموت روزا" الأخلاقية للتسارع والاغتراب هي نقد اجتماعي يقوم أساساً على مفهوم "الحياة الجيدة" "la vie bonne"، أو بالأحرى نقد الظروف التي تمنع من تحقيق الحياة الجيدة مثل حالات الاغتراب، لذلك يعني النقد هنا الكشف عن البنى والممارسات التي تمنع الأفراد من تحقيق حياة جيدة. وعليه نصوغ الإشكالية ذاتها التي يعالجها النص على النحو التالي: كيف ينتج الاغتراب عن القوى المحركة للتسارع الاجتماعي في المجتمع الحداثي؟

2. النقد الأخلاقي 2: إعادة النظر في الاغتراب، لماذا يقود التسارع الاجتماعي إلى الاغتراب؟؛ بالنسبة لماركس الشاب ينتج لدى الإنسان اغتراب خماسي\*\* من لدن عالم الإنتاج الرأسمالي: اغتراب تجاه أفعاله (في العمل)، واتجاه منتجاته (في الأشياء)، واتجاه الطبيعة، وغيره من الكائنات الإنسانية (في العالم الاجتماعي) وفي النهاية تجاه ذاته أو ذاتها. اعتبر ماركس أن الحدث الرأسمالية ستنتهي إلى إنتاج ظروف اجتماعية في داخلها تُقَيِّدُ الذوات بشدة في علاقتها بـ "العالم" على النحو التالي؛ سيغتربون تجاه العالم الذاتي والموضوعي والاجتماعي. وكما نعلم جميعاً، لم يتم الفصل تحديداً في مفهوم أو "الدلالة الحقيقية" "للاغتراب" في الخطاب الاجتماعي، وهذا ما

قاد الماركسيين الأرثوذكس إلى التخلي كلياً عن المفهوم<sup>1</sup>. وبالكيفية نفسها، يُجادل المفكرون الاجتماعيون أساساً لمعرفة إذا ما كانت الرأسمالية تخلق، فعلاً أو بشكل ضروري، كل (أو حتى واحدة من) هذه الصور المعلن عنها من الاغتراب، أو لا؟ مع ذلك، أنوي، في هذا الفصل الختامي، تأكيد شيء ما يشبه -من بعض الجوانب، وليس كلها- حجة ماركس: سأحاول تبين أن التسارع الاجتماعي يوشك أن يخترق بعض العتبات -فيما وراءها- تصير الكائنات الإنسانية مغتربة بالضرورة ليس تجاه أفعالهم والأشياء التي يعيشون معها ويعملون بها، والطبيعة والعالم الاجتماعي وكيوناتهم فحسب، ولكن أيضاً تجاه الزمان والمكان. ومع ذلك، سأترك السؤال مفتوحاً، عبر نقل التحليل نحو منظورية زمنية، حول معرفة إذا ما كان منطق التغيير الزماني هو منطق اقتصادي "خالص" أم لا؟ أعتقد بشكل جازم أن القوى المحركة للتسارع الاجتماعي في المجتمع الحداثي تتجاوز مجال الرأسمالية الاقتصادية، بيد أن هذه القناعة ليست أساسية في حقي. كيف ينبثق الاغتراب انطلاقاً من السرعة؟ لنختبر جانباً من هذه الفرضيات؟

2. 1 الاغتراب تجاه المكان: يكمن قلب مفهوم الاغتراب كما أرغب في استخدامه داخل العلاقة أنا-عالم: يشير الاغتراب إلى تشويه عميق وبنوي للعلاقات بين الأنا والعالم، إلى الكيفيات التي تتموضع فيها الذات أو إلى موقعها في العالم. والآن باعتبار أن الكائنات الإنسانية هي ضرورة ذوات متجسدة، فلا يمكنهم الإحساس بالعالم إلا كامتداد في المكان، ولا يدركون أنفسهم -في الوقت نفسه- إلا كموقع في المكان. بيد أنه، وكما لاحظ "بول فيليرو" "Paul Virilio"<sup>2</sup> وكثيرون، ينفصل، في عصر "العولمة" المرقمة، التقارب الاجتماعي عن التقارب الفيزيائي أكثر فأكثر: فمن هم قريبون منا اجتماعياً ليسوا بحاجة إلى أن يكونوا قريبين منا فيزيائياً وجهاً لوجه. وبكيفية مماثلة، تنفصل المصلحة الاجتماعية أكثر فأكثر عن التقارب المكاني. هكذا، فإن تحديد الموقع أو الوضع المكاني، بالنسبة للكثير من السيرورات الاجتماعية، إن لم تكن أغليبتها، ليس مناسباً أو حتى قابلاً للتحديد. لقد أصبح الزمان والمكان كما يقول "أنطوني جيدن" "Anthony Giddens" "غير منفصلين"<sup>3</sup>.

كل هذا لا يحتوي بالضرورة على "الاغتراب تجاه المكان"، ولكن يجعله ممكناً. ومن المثير للاهتمام في هذا الصدد أن مديري الفنادق يشيرون إلى أنه يتعين عليهم طمأنة زبائنهم بشكل متزايد عندما يتصلون بمكتب الاستقبال بحثاً عن التوجيه: فهم يتساءلون في أية مدينة أو أي بلد يتواجدون به؟ نحن في حاجة حتى يصير فضاءً مكانياً ما حميمياً لدينا، ونشعر، داخل عالم مكاني ما، بأننا في منزلنا، إلى بعض الأشكال من الحميمية المصطنعة: يعني المصطلح الألماني "Heimat" "مسقط الرأس" بالضبط أننا نشعر بالحميمية تجاه مكان معين بحد ذاته، حتى تلك الأجزاء والأقسام التي لا نشغلها أو التي نحن لسنا في حاجة إليها. بيد أن هذه الأشكال من الحميمية والألفة تتطلب وقتاً لتتطور. إذا كنتم تُغيرون مكان سكنكم باستمرار فإنكم تنفصلون عاجلاً أو آجلاً من أي مكان جغرافي-اجتماعي مهما كان؛ أنتم بحاجة إلى معرفة أين يتواجد السوق والبقالة والمدرسة أيضاً، ومكتب وقاعة الرياضة، لكن تصبح الفضاءات التي تفصلهم "صامتة" بمعنى الـ "لا مكان"<sup>4</sup> عند "مارك

أوجي "Mrc Augé": "فهي لا تروي أية قصص، ولا تنقل أية ذكرى، وهي ليست متشابكة مع هويتكم. هذا ينتهي لأن يكون حقيقياً تحديداً بالنسبة لأمكنة الحياة الأكثر حميمية، مثلاً معدات مطبخكم: إذا أبقيتكم الثلجة نفسها والفرن نفسه خلال عشرات فأنتم تعلمون كيف تبدو وكيف هي رائحتها وصوتها، وتعرفون أيضاً عيوبها وطبيعتها أعطالها. ولكن إذا غيرتموها مرتين في السنة، لم تعد تهتمكم خصائصها الفردية: تريدون فقط معرفة كيف تشتغل هاته الآلات. هكذا، يخلق التسارع الاجتماعي حركية كبيرة وانفصالاً كبيراً عن المكان الفيزيائي، ولكنه يُظهر أيضاً اغترابنا تجاه المحيط الفيزيائي أو المادي.

2.2 الاغتراب تجاه الأشياء: هكذا نكون قد ولجنا بالفعل إلى عالم الأشياء. يحوي عالم الأشياء -على الأقل- نوعين من الأشياء: الأشياء التي ننتجها والأشياء التي نستخدمها أو التي نستهلكها. لدى الكائنات الإنسانية برأيي دائماً علاقات حميمية وتكوينية على الأقل مع بعض الأشياء<sup>5</sup>. في الواقع تشكل الأشياء التي نعيش معها ونعمل بها بمعنى ما هويتنا. بيد أن علاقتنا بعالم الأشياء تختلف باختلاف سرعة التبادلات. فإذا حافظتم على جواربكم وسيارتكم أو مذياعكم المحمول لعشرات السنين، أو على الأقل لبعض السنوات، أو بمعنى آخر: طالما تضعون في اعتباركم الاحتفاظ بسيارتكم ومذياعكم المحمول أو جواربكم -أو حاسوبكم أو هاتفكم- إلى أن تتكسر أو تهترئ إلى حد كبير، فثمة فرصاً كبيرة لأن تصبح جزءاً منكم، وبالمعنى العكسي، أن تصيروا أنتم جزءاً منها. إن السيارة التي أصلحتموها أنتم عشر مرات، أو الجوارب التي قمتم أنتم أنفسكم برتقها هي الآن مناسبة لكم وخاصة بكم. أو بكيفية أكثر دلالة، تم استيعابها من طرفكم. أنتم تستثمرونهم وتدركونهم في كل أبعادهم الحسية، وهي تحمل معها العلامات التي تتركونها عليها. إنها تصبح جزءاً لا ينفصم عن تجربتكم المعيشة اليومية وهويتكم وتاريخكم. يتمدد الأنا بهذا المعنى نحو عالم الأشياء، وتصير الأشياء بدورها تسكن الأنا. ويمكننا التأكيد -عبر استخدام معجمية "شارلز تايلور"<sup>6</sup> "Charles Taylor" - أن الأنا يصير بمعنى ما مَسَامِيَا: فالتخلص من هذه الأشياء هو فعل يمس هويتكم.

بيد أنه، لم نعد -في مجتمع التسارع- نُصلح الأشياء: ففي الوقت الذي بمقدورنا -ببساطة- تسريع الإنتاج، لا يمكننا أن نُسرّع بشكل مُعتَبَر الصيانة والخدمة. وبالتالي، يصير إصلاح الأشياء مُكَلِّفاً أكثر فأكثر بالقياس إلى إعادة انتاجها. فضلاً عن ذلك، حينما أضحت أغلب المنتجات أكثر تعقيداً من الناحية التقنية، فإننا نفقد المعرفة العملية الضرورية كيما نهتم بها نحن أنفسنا. وفي الأخير، لأن كانت سرعة التغيير الاجتماعي تتزايد فإن "الاستهلاك المعنوي" "consommation morale" "للأشياء يتجاوز دائماً استهلاكها الفيزيائي: لدينا ميل إلى رمي واستبدال السيارات والحواسيب والملابس والهواتف قبل حتى أن تهترئ فيزيائياً. مع ذلك، من المؤكد أن الجوارب التي لم تلبسوها إلاً مرتين أو ثلاث، والسيارة التي تأخذونها إلى المرآب لغرض بسيط هو استبدال الإطارات، والمذياع المحمول الذي لم تضبطوا حتى ساعته بدقة، لا تصبح البتة جزءاً منكم. لقد أصبحت،

بشكل واضح، شيئاً "غريباً". إن هذا الأمر لا يُنتج من ذاته "اغتراباً"- وهذا لا يحصل إلا عندما يصير النمط المهيمن أو الوحيد للعلاقة بعالم الأشياء.

لكن، أطروحتي هي تحديدًا: أن هذا هو النمط المهيمن الآن. ونحن ندركه أكثر وضوحاً في مجال تجربتنا في العمل. أنا نفسي منحت اسماً لحاسوبي الأول الذي حصلت عليه. كنت متأكداً من أنني سأحتفظ به مدة طويلة، وحاولت أن أجعل منه صديقاً لي. فإعطاء اسم لشيء ما هو علامة -بدون شك- على أننا نحاول الاقتراب منه والتودد إليه، أي محاولة لأن نمتلكه. لقد أحسست بألم عندما انتهت إلى ضرورة التخلص منه بسبب الاستهلاك المعنوي. واليوم، لا أعلم حتى نوع الحاسوب الذي استخدمته، وبالكيفية نفسها لا أعلم الرائحة التي يطلقها أو كيف يبدو عندما لا أكون في مكتبي، أو الصوت الذي يصدره. ولم أعد أقلق بشأن معرفة المدة الزمنية التي سأحتفظ فيها به. والشيء نفسه يحدث مع هاتفي النقال ومذياعي المحمول. هنا ينتج شيء آخر: فبينما يصير هاتفي النقال ومذياعي المحمول (أو الآي باد iPod الخاص بي، أو أي شيء) وحاسوبي (أو حاسوبي المحمول أو النيتبوك الخاص بـ netbook، أو أي شيء)، تصير ذكية أكثر فأكثر، فإن المسافة بينها وبينني تزداد عمقا بشكل لا يمكن تجنبه. مع مذياعي المحمول القديم أعرف كيف أضبط الوقت، ومع الجديد أجهل الكيفية، كما لم اقتطع وقتاً لاكتشافها. في عصر الأشرطة كنت أعرف كيفية تسجيل أغنية في المذياع، ومع التكنولوجيات الجديدة لا أعلم. ومع هاتفي القديم أعرف كيف أغير رنّته لكن ليس مع الهاتف الجديد.

هكذا، بينما تصير الأشياء أكثر تعقيداً، أصير أكثر بلادة بخصوصها، ومن ثم أفقد بعضاً من معارفي الثقافية والعملية. هذه نتيجة طبيعية للتدني المستمر للتجربة من طرف الابتكار. أصير مغتربا تحديداً تجاه الأشياء التي أمتلكها، بالمعنى أين أشعر بالضيق لأنني لا أعالجها جيداً. هكذا، أشعر أنني بالأحرى مذنب اتجاهها. فالأشياء لديها من القيمة وهي ذكية إلى درجة كبيرة ومع ذلك استخدمها بغباء. لكن للأسف، هذا الأمر ليس صحيحاً بالنسبة للأدوات فقط، ولكن أيضاً ما يتعلق بالبرمجيات. لقد كنت على دراية بالبرنامج القديم "ورد-Word" pour-DOS، كنت أعرف كل خيار، وكل شيء صغير فيه. كنت أنجز بواسطته كل شيء أحتاجه. كما كنت أيضاً على دراية بنظام "اكس بي XP": كنت أجيد استخدامه تبعاً لحاجاتي اليومية. لكن أشعر بالجهل كلياً أمام شاشة واجهة "فيستا Vista" الجديدة: لم أعد أعرف كيف استخدم المختصرات، كيف أدرج رسومات وجدول... الخ. وباختصار، أضحى، في الحقيقة، البرنامج الجديد وأنا مغترباً الواحد تجاه الآخر، والشيء نفسه ينتج مع ساعتي الجديدة، ومع "الآي بود iPod" الجديد الخاص بي (وحتى أكون صادقاً لا استخدم "الآي بود" لكنني لا أفهم مشغل الموسيقى الجديد الخاص بي) ومع الميكروأوند الجديد.

بالتأكيد، يحاول الأفراد في عصر الحداثة تعويض النقص في تجارب الاغتراب المقلقة عبر امتلاك أشياء حصريّة وباهظة؛ مثل المزهريات الغريبة والبيانو الكبير أو تلسكوب عالي الدقة، وهي أشياء من المفترض تبقى لمدة طويلة. لكن في غالب الأحيان لا يمكن بلوغ المسامية، ويتطور بدلاً منها شعور بعقدة الذنب: إن هذه

الأشياء جدُّ غالية ولا نملك وقتاً كبيراً لها، ونحن لا نمنح لها إلا القليل من الاهتمام. هكذا نحن نحيا ونتطور ونعمل في بيئات أضحت غريبة عنا.

2. 3 الاغتراب تجاه أفعالنا: ليس من المفاجئ إذن، أن يكون بإمكاننا البدء، تحديداً، بالشعور بأننا مغتربون تجاه أفعالنا الخاصة. فإذا كان عكس الشعور بالاغتراب هو أن "نشعر بأننا في منزلنا" (في مكان ما، مع بعض الأشخاص، أو داخل إطار بعض الأفعال). وعليه يمكننا القول إننا، في الواقع، لا نشعر غالباً بأننا في بيتنا عندما نفعل ما نفعله عادة. وهنا، يمكن أن يغترف الاغتراب عن سببين؛ الأول يرتبط بالاغتراب في علاقته بالمنتجات والأدوات التكنولوجية التي ناقشناها تَوَّأً: ينبغي أن نستخدم دائماً - في الحياة الحداثيّة-معدات وأدوات - وحل بعض المهمات- لم نتعلم مسبقاً استخدامها، والتي لم نمتلكها من قبل. هكذا، ففي الوقت ذاته الذي أكتب فيه هذا النص بحاسوبي الجديد، يقوم الحاسوب بأشياء غريبة - يتحرك المؤشر الآن ويهتز، وطريقة عمله لا يمكنني إدراكها البتة، وهذا يخلق شعوراً بالاغتراب حتى خلال النشاطات النادرة التي تجعلني أشعر عادة بأنني متجانس مع ذاتي، مثل حالة تأليف كتاب. في وقت سابق من النهار استقبلت الطائرة من فيينا إلى زوليخ، ولم أشعر أبداً بأمان مع الإجراءات التي يجب أن أتبعها. والشيء نفسه يحدث مع تصريح الضريبي ومع الكثير من الاستثمارات التي ينبغي أن أملاها.

ينبثق الاغتراب هنا عادة من كوننا لا نجد أبداً الوقت للاستعلام حقيقة حول الأشياء التي ستعطينا. كل دليل استعمال وكل عقد نمضيه (خصوصاً على الانترنت) وكل حبة دواء نأخذها يتضمن أولاً التحذير "شكراً على قراءة المعلومات التالية جيداً قبل القيام بأي شيء". بالتأكيد نحن لا نقرأ أبداً الدليل أو العقد والشروط العامة، أو نشرة الأدوية بشكل تام قبل استخدامها. هكذا فإن الكم الهائل من المعلومات هو سبب شعورنا بالاغتراب (سواء أطلقنا عليه هذا الاسم أم لا) في العالم الحديث.

هذا الأمر ليس صالحاً بالنسبة للأشياء التقنية والقرارات البسيطة فحسب، ولكن يصدق أيضاً على الخيارات الكبرى للحياة: لننظر إلى تلميذ ثانوية اجتاز البكالوريا وهو يتساءل أيّة ليسانس يُسجّل فيها. إنّ أيّ دليل يطلّع عليه يقدم له النصيحة نفسها بشكل صريح: "أولاً، حدّد ما تريد أن تفعله بدقة، وما أنت في حاجة إلى بلوغه. ثم اقرأ بعناية الكتيبات والبرامج المتاحة للجامعات التي تقترح الدروس التي تبحث عنها". نصيحة جيدة، لكن، كيما نبدأ؛ يُعاني المترشحون للبكالوريا عادة من المشكلة التالية: لا يعلمون تحديداً ما هم بحاجة إليه، وماذا يريدون أن يصنعوا بحياتهم؟ ثانياً، حتى وإن قرروا لصالح مادة بغرض دراستها، ما هي الجامعات التي تمنح فعلياً ما هم بحاجة إليه؟ وثالثاً، لن يكون لديهم الوقت الكافي من أجل قراءة ومقارنة البرامج المعروضة. هكذا يبدوون -على نحو لا يمكن تجنبه- بوعي سيء: فهم ينقذون جزئياً في المجهول، بالرغم من أنه كان بإمكانهم، وبوسعهم الاستعلام بشكل تام مسبقاً. ويمكننا أن نلاحظ الشيء نفسه بالنسبة لأغلب قرارات الحياة الأساسية الأخرى: إن لم تستعلموا أبداً -بشكل معمق- بغرض معرفة ماذا يقول أيّ دين حول هذا الموضوع؟ -ومن ثم،

معرفة أي دين يتوافق حقيقة مع احتياجاتكم وقناعاتكم؟<sup>7</sup> هل أنتم متأكدون بأنكم تعيشون مع الشريك المناسب؟ أو بالأحرى، في مستوى أكثر جوهرية: هل تعدُّ شركتكم للتأمين، وبنيكم، وموردكم للطاقة ومخططكم عن التقاعد (أو، خدمة الرعاية في المنزل من أجل والديكم) الأحسن من بين ما يمكنكم إيجاده؟ أو فضلاً عن ذلك، إذا أردنا أن نكون أقل طموحاً، هل أنتم متأكدون على الأقل أن الظروف التي تمنحها لكم شركاتكم للتأمين وبنيكم أو خططكم للتقاعد هي ذات مستوى مقبول؟ وإذا لم تكن كذلك: كيف يمكنكم الشعور "بأنكم في بيتكم" عندما تواجهون هذه المشكلات؟

بيد أنه، بوسع بعض القراء اعتبار أن أطروحة الاغتراب، المقدمة على هذا النحو، بعيدة المنال، وأنا موافق تماماً على القول بأنها ليست المصدر الرئيس للاغتراب في عالم الأفعال والممارسات الحداثيّة اليومية. لقد عرّفت الاغتراب في البداية بأنه الشعور بـ "عدم الرغبة في فعل ما نفعله"، بل بالأحرى أن نتصرف بحرية تبعاً لقراراتنا وإرادتنا الخاصة. لنفكر، إذن، بالكيفية نفسها، في يوم عادي داخل المكتب أو حتى في المنزل، عادة ما نُشغل الحاسوب مع نيّة جازمة للقيام بشيء ما نعتقد أنه نافع ومُهم فعلاً، ونحن نريد القيام به بوضوح. مثلاً، لقد شغلتُ هذا الحاسوب اليوم لأنني أريد تحرير هذا الكتاب حول التسارع والاعتراب). في الواقع، لست متأكداً أن لديّ رغبة فعلية في القيام بذلك في هذه اللحظة تحديداً -ربما أفضل بالأحرى الاستماع إلى الألبوم الجديد "لاي2" "U2" الذي اشتريته اللّحظة، لكن المخطوط كان من المفترض أن يُقدّم، من قبل، منذ سنتين! إلا أنه، قبل البدء في الكتابة، تصفحت بسرعة واحداً من مواقع الويب التي اعتدت الاطلاع عليها: ألقيت نظرة على "س ن ن" "CNN"، وأخرى على نتائج كرة القدم الألمانية، وأيضاً نظرة أخرى على صفحة ويب تحصي الأخبار الأخيرة عن الروك التقدمي. في الواقع، يتضح أنّي لست متأكداً من رغبتني فعلاً في تصفحها - لقد جربت شعوراً غريباً خلال القيام به، وهذا الشعور الخفيف بعدم الرضا يزداد عند كل وثبة أقوم بها- لأنني لم أكمل البتة قراءة المقال إلى النهاية. يمكنكم المجادلة على الأقل أنها مشكلتي الشخصية، إنه ضعف الإرادة، وهذا ليس له علاقة بالبنى الاجتماعية الاغترابية. حسناً، يمكنني الرد عبر القول إن هذه التجربة الاغترابية والمستغرقة ذاتها، هي تجربة متقاسمة بين الملايين أو الملايير من مستخدمي الانترنت، ولذلك، لا يمكن أن يُعزى ذلك إلى ضعفي الفردي فحسب. ومع ذلك، بلى، أقبل تحمل المسؤولية الآن للحظة. لأن الأمور في المرحلة اللاحقة أصبحت سيئة للغاية: لقد اطلّعت على حساب بريدي الالكتروني. انطلاقاً من هنا، وخلال تقريبا التسعين دقيقة التالية، كنت أفعل بوضوح أشياء لم أرغب حقاً في القيام بها. لا أحتاج إلى الدخول في التفاصيل هنا؛ لأن البعض من القراء يعلمون مسبقاً عما أتحدث: أردت تحرير كتابي لكن عوضاً من ذلك أرسلت كل صنوف الملفات والاجابات، وتكبّدت الكثير من القلق والهموم التي لم أشعر بها من قبل. وفي النهاية لم تبق لي سوى ثلاثين دقيقة للكتاب.

بيد أن هذا النوع من " الترفيه " (والانتشار) المتعلق بما "نريد حقاً فعله"، لا يمكن ملاحظته في النشاطات المكوّنة من عناصر تكنولوجية فحسب. يشتكي الموظفون (وأصحاب العمل أيضاً) تقريباً في كل مجالات العمل من تقلص الوقت الذي يكرسونه فعلاً "لنشاطهم الجوهري": وهذا ما يتم اختباره في الوقت الذي يقضيه الطبيب مع مرضاه، والوقت الذي يقضيه المعلمون في التدريس أو الدراسة، والوقت الذي يقضيه العالم في البحث ..... الخ. في النهاية، تقوم، ببساطة، الأطروحة التي بموجبها من المستحيل "الوصول إلى القيام" بما "نريد فعله" على -كما لاحظته في الجزء الأول من هذه المحاولة- أن "قائمة الأشياء التي نقوم بها" تتمدد كل سنة في كل مجالات الحياة. تُشير "الخطابة الملزمة"، بكل وضوح، إلى وجود هذا الشعور العميق بالاغتراب: فبمجرد أن لدينا ميلاً إلى تبرير كل ما نفعله بعبارة نصوغها في شكل عذر من قبيل "ينبغي فعلاً" (أن أقرأ الأخبار الأخيرة، أن أُحَيِّنَ حاسوبِي، ملء التصريح الضريبي الخاص بي، تغيير ملابسِي ... الخ، بمعنى) فعل هذا الآن"، هو إشارة لا جدال فيها إلى درجة التباين التي ننسبها إلى هاته النشاطات. وهذا ما يتوافق إحصائياً مع الشكاوى التي جمعها الباحثون عن أناس، تقريباً، من كل الطبقات الاجتماعية، وافترضياً في كل الدول المتطورة، خاصة فيما يتعلق بكونهم لا "يجدون أبداً وبشكل فعلي الوقت" للقيام بالأشياء التي يفضلون القيام بها<sup>8</sup>. بيد أنه، من المهم ملاحظة أن هذا الشعور حاضر بشكل كلي حتى لدى الأشخاص الذين يجدون الوقت لمشاهدة التلفزيون (أو تصفح شبكة الانترنت) خلال ثلاث ساعات أو أكثر في اليوم! بالتأكيد، يُمكنكم التأكيد -مرة أخرى- على أنه؛ إذا كانت الأشياء هكذا فلأن الناس يُفضلون فعلاً و"واقعياً" مشاهدة التلفاز عوضاً من الانخراط فيما يقولون، إنه مفضل عندهم قبل كل شيء (مثلاً العزف على الكمان، الذهاب في جولة على الاقدام، الذهاب لرؤية الأصدقاء أو إلى مشاهدة أوبرا لفاغري). لكن على الأقل، ليس الأمر كذلك: تفترض بوضوح معطيات الدراسات حول أحاسيس ومستوى المتعة التي تقدمها بعض النشاطات، أن الأفراد يُقدِّرون في الحقيقة هذه الأنشطة أكثر من غيرها حينما ينخرطون فيها حقاً. في المقابل، إن مستويات المتعة والرضى التي يجلبها التلفزيون منخفضة للغاية<sup>9</sup>. مهما كانت طريقة تأويل هذا الاكتشاف الغريب<sup>10</sup>، إنه لأمر واضح أن الناس -من النادر- ما يقومون بما "يرغبون القيام به فعلاً"، وعوضاً من ذلك ينقذفون - دون أن يكونوا بطبيعة الحال مقيدين- في نشاطات لا يُحبذون كثيراً ممارستها. إن الامر يتعلّق تقريباً بحالة نموذجية من الاغتراب كما هو محدد أعلاه: إن الناس يقومون بملء إرادتهم ما لا يريدون حقاً القيام به.

ينتج، في نظري، هذا الشّكل الغريب والجديد كلياً من الاغتراب تجاه أفعالنا الخاصة من المنطقيات ذاتية الدفع الخاصة بالمنافسة والتسارع. ففي عالم تحكمه ضرورات السرعة، لا يتم إرشادنا إلى البحث عن تحقيق رغباتنا في المدى القصير فحسب (مثل مشاهدة التلفاز)، عوضاً من تطويرها على المدى الطويل (العزف على الناي)، نحن مدفوعون أيضاً، كما قلت قبلاً، إلى ابتلاع إمكانات وخيارات بدلاً من السِّلْع. ومن ثم تعويض التّخلي عن الاستهلاك "الواقعي" "réelle" عن طريق الزيادة في "التسوق" "shopping": نحن لا نأخذ، أو لا نجد، الوقت

لقراءة الإخوة كرامازوف-، وعوضاً من ذلك نشترى أيضاً "الغبي" لدوستيفيتسكي، نحن لا نأخذ الوقت لتتعلّم فعلاً استخدام التليسكوب الخاص بنا (هذا يأخذ الكثير من الوقت: فخلال الأربع أو الخمس ليالٍ أين تشرعون في إخراج أدواتكم الجديدة، تحجب الغيوم رؤيتكم، وفي الليلة الخامسة يكون الجو بارداً جداً، وفي الليلة السادسة تُحسّنون بأنكم لستم بحال جيّدة، وفي الليلة السابعة تخرجونه -ولكنكم تدركون بسرعة أنه من الصعوبة بمكان أن تجدوا عدا القمر في المجال الصغير للسماء التي ترونها عبر العدسة)، عوضاً من ذلك نشترى آلة التصوير الجديدة التي يُمكننا تثبيتها، نظرياً، على عدسة التلسكوب. هكذا فإن قدراتنا الكامنة والخيارات والفرص التي نلج إليها تزداد بشكل مستمر، بينما قدراتنا العينية للـ"تحقيق" تتقلص تدريجياً. نحن نمتلك مبدئياً كتباً وأقراصاً مدمجة CD وقرص الفيديو الرقمي DVD وتلسكوبات وبيانوهات... الخ، أكثر من ذي قبل، ولكن ليس بمقدورنا استخدامها. وبما أن استيعابها يتطلب الكثير من الوقت، فإننا نشعر، في الوقت نفسه، بحاجة مُلِحّة ومتزايدة لاستدراك التأخر الزمني، نحن نعوض، أكثر فأكثر، الاستهلاك غير المحقق من خلال التسوق. هذا الأمر جيّد للاقتصاد لكنه سيء للحياة الجيدة- وهو على نحو بديهي نقطة الانطلاق الواعدة لإعادة النظر في مفهوم الحاجات الزائفة "faux besoins".

بينما لدينا، في نهاية المطاف، ميلٌ إلى نسيان ما كنّا نريد القيام به "فعلاً"، ما نريد أن نكونه فعلاً- نلغي أنفسنا وقد سيطرت عليها الحاجة إلى استنفاد "قائمة الأشياء التي نقوم بها"، ونشاطات الاستهلاك والاشباع الفوري (مثل التسوق أو مشاهدة التلفاز)، إلى درجة نَفقد الإحساس بوجود شيء ما "أصلي" أو ثمين في نظرنا. هكذا كما قال "أودون فون هورفات" "Ödön Von Horváth" "سننتهي إلى اجتراح انطباع بأننا شخصٌ آخر مختلف تماماً- لم يكن لدينا الوقت لنكون بكل بساطة هذا الشخص. بيد أن هذا ما يشير إلى وجود شكلين آخرين من الاغتراب: اغتراب ذاتي من جهة، وشكل جد خاص من الاغتراب قياساً إلى زمن الآخر. ولنبدأ بهذا الأخير.

2. 4 الاغتراب تجاه الزمن: بينما بمقدورنا قياس الزمن موضوعياً باستخدام ساعة فإن تجربة الزمن و"ديمومته الداخلية" هي ظاهرة ذاتية ومستمرة. يمكن أن تكون نصف الساعة قصيرة بشكل عجيب أو طويلة بشكل كبير، تبعاً للظروف والنشاطات التي نخرط فيها. بيد أن البحوث التجريبية قدمت بعض النتائج المتناسكة (والمفاجئة) بخصوص تجربتنا الداخلية بالزمن. هكذا يمكننا أن نختبر بسهولة، انطلاقاً من تجربتنا وذاكرتنا الخاصة، الظاهرة الموسومة بـ"مفارقة الزمن الذاتية". ومؤداها أن زمن الخبرة وزمن الذكرى لدهما خصائص عكسية: إذا قمتم بشيء يعجبكم فعلاً وتشعرون خلال القيام به بالكثير من الانطباعات المنعشة والمكثفة والمثيرة، يمرّ الوقت عادة بسرعة كبيرة. لكن حينما تلتفتون إلى الوراء في نهاية اليوم ستشعرون حتماً بأن اليوم كان جد طويلاً. لنفكر مثلاً في السفر خلال العطلة بين ستوكهولم و"ساحل بروفانس-آلب-أزور" cote d'azur". تستيقظون باكراً في الصباح لتأخذوا عبّارة، ثم تستقلون الطائرة إلى ميونيخ، وتقومون بجولة

صغيرة في المدينة وتمضية بعض الوقت في الألب، وبقدوم المساء تجلسون في مقهى جميل على حافة البحر المتوسط. وعندما تخلدون إلى النوم في المساء بوسعكم التفكير في أنكم بدأت رحلتكم في الواقع من ستوكهولم منذ يومين أو ثلاثة. هكذا يتحول الوقت الذي يمر بسرعة (وقت وجيز) في الخبرة المعيشة إلى وقت ممتد (وقت طويل) في الذاكرة. لكن العكس في الحقيقة صحيح. لنفكر في يوم تقضونه في الانتظار لساعات داخل محطة القطار، وفي عمل مكتبي مهما كان، وربما لوقت إضافي تقضونه في انتظار زحمة الطريق. بينما تنتظرون يبدو أن الوقت -بالتأكيد- يمتد بشكل عجيب: لديكم انطباع أيضاً بأنكم تنتظرون منذ ساعات، بينما تُظهر الساعة في الواقع أن عشر دقائق فقط قد مرت. إن الوقت يمر ببطء. وحينما تستلقون على السرير في نهاية اليوم لديكم الانطباع كما لو أنكم استيقظتم اللحظة: ونقول إن اليوم قد انقضى بشكل عجيب "كما لو أن شيئاً لم يحدث". إن الوقت القصير والطويل يتحول في الخبرة إلى وقت مختصر في الذاكرة<sup>11</sup>.

إلى الآن كل شيء جيد، وهو ليس شيئاً جديداً أو ثورياً بشكل خاص. لكن هنا تحديداً تصير الأشياء مثيرة: يبدو أن هذه الأشكال من التجربة "الكلاسيكية" بالزمن -في عالم الحداثة المتأخرة-، أي الطويلة/ المختصرة أو المختصرة/ الطويلة، قد تم استبدالها تدريجياً بأشكال جديدة من التجربة بالزمن، والتي تتبّع، بشكل مثير للاهتمام، نمطاً آخر هو "مختصر/مختصر": لنفكر فيما يحدث عندما تعودون إلى المنزل وتقرّرون "التصفح بسرعة" عبر المرور ببرامج التلفزيون. يمكنكم بكل سهولة الوصول إلى تصفح ومشاهدة أجزاء من برامج لمدة ساعات، أو البقاء لمتابعة فيلم مثير بشكل خاص، والوقت ينقضي بطريقة غير محسوسة وبسرعة كبيرة، تماماً مثل السفر. وكما يحدث في السفر تتلقون الكثير من المثيرات، ويمكن أن يبدأ قلبكم بالنفض بقوة حينما يختفي القاتل في طرف الطريق. بيد أنه بمجرد إطفاء التلفزيون لا يبدأ الوقت في التمدد (كما يفعل السفر فيما بعد)، عوضاً من ذلك فهو يتقلّص تقريباً إلى لا شيء. حينما تخلدون إلى النوم في تلك الليلة تبخر الفترة التي قضيتها في مشاهدة التلفاز، كما في تجربة الزمن طويل / مختصر؛ إذا قضيت الجزء الكبير من اليوم في مشاهدة التلفاز سيكون لديكم انطباعاً أنكم استيقظتم اللحظة. ما ينبثق هو إذن "نمط مختصر/ مختصر": يمرّ الزمن المعيش بسرعة لكنه يتقلص في الذاكرة.

مع ذلك، إذا كان هذا الأمر يحدث مع التلفزيون وحسب، فهذا ليس شيئاً مميزاً. نحن نعلم مسبقاً أن شاشة التلفاز تفعل أشياء غريبة بنا. بيد أنني أدمع كون النمط "مختصر/ مختصر" هو الأكثر انتشاراً من ذلك النمط داخل عالمنا المعيش الخاص بالحداثة المتأخرة. تحدث تجربة مماثلة عندما نتصفح الأنترنت، أو عندما نلعب (بعض الأنواع) من ألعاب الفيديو. لنفكر للحظة ما هي الأسباب التي يمكننا اكتشافها في هذا الانقلاب التجريبي للزمن؟ يتجلى الفرق بين التلفاز والسفر -برأيي- في جانبين: أولاً، يشتمل السفر على كل حواسنا؛ فهو تجربة جسدية في كل جوانبها. في المقابل، نلفي أن مشاهدة التلفاز تجربة "غير محسوسة": نحن بالكاد نُحرك رأسنا؛ إذ تصل كل العناصر إلى أعيننا وفقاً لمنظور جدّ محدود، بينما ليس ثمة أي منظور يصلنا عن طريق جلدنا

وأنفنا ... الخ. ثانياً، إن القصة أو القصص التي نغمس فيها عند مشاهدة التلفاز (أو عندما نلعب لعبة فيديو) يتم فصلها عن سياقها: ليس لديها أي علاقة بما نحن عليه ومن نحن؟ ومع ما نشعر به وبقيّة حياتنا؟ إنها لا تستجيب بطريقة ذات دلالة لخبرتنا وحالاتنا الداخلية. هكذا نحن نُمثّل، خلال هذه النشاطات، "حلقات معزولة" من الفعل أو التجربة. لا تترك هذه الحلقات "أثار ذاكرة" في أدمغتنا: فباعتبار أنها ليست ذات صلة إجمالاً بحياتنا أو هوياتنا، ولما كانت لا تنضاف إلى تجاربنا الماضية، فلدينا ميلٌ إلى نسيانها على الفور، ونسمح لأنفسنا فعل ذلك. إن هذا الميل إلى محو (أو رفض التخزين) لأثار الذاكرة هو في الواقع نافع جداً داخل مجتمع التسارع؛ فالتجربة في هذا المجتمع هي في أغلب الأحيان تجربة عفا عليها الزمن وبلا فائدة، أين ينبغي أن نكون دائماً جاهزين لما هو جديد وغير متوقع. لكن، يبدو أن حضور أو غياب أثار الذاكرة (العميقة) هو الذي يحدد ما إذا كان الزمان قد تم ادراكه -عن طريق العودة إلى الماضي- باعتباره زمناً مختصراً/ أو طويلاً.

إذا كان ما أسلفنا ذكره صحيحاً وموائماً، لدينا أسبابٌ وجهية تجعلنا نشخص فيه ميلاً عاماً نحو نمط تجربة زمانية حدائية مختصرة هي مختصر/ مختصر: نحن نخرط شيئاً فشيئاً في نشاطات وسياقات منعزلة الواحدة عن الأخرى بشكل صارم. هكذا، يمكننا الذهاب إلى قاعة الرياضة gym ثم إلى حديقة تسلية. ثم إلى المطعم والسينما، وزيارة حديقة الحيوانات وحضور محاضرة واجتماع أعمال، والتوقف عند السوق ... الخ كل هذه النشاطات تمثل في المحصلة حلقات منعزلة من الفعل والتجربة غير موصولة بغيرها بطريقة مندمجة أو ذات دلالة. وفي النهاية، بالكاد نتذكر أننا كنا هنالك.

في الواقع، إن الميل نحو هذا النمط من التجربة هو الذي كشف عنه "والتر بن يامين" منذ قرن تقريباً. لقد كان قادراً على أن يميز -في ألمانيا- بين الخبرات les erlebnissen (بمعنى حلقات الخبرة)، والتجارب Erfahrungen (الخبرات التي تترك أثراً، والمرتبطة أو التي هي في علاقة وثيقة الصلة بهويتنا وتاريخينا؛ أي التجارب التي تؤثر فينا وتُغيّرنا). وكان يعتقد أننا ندنو من عصر سيكون غنياً بالخبرات ولكنه فقير بالتجارب. ونادراً ما يمكننا التمييز بين النوعين عبر البحث في الذاكرة. وكما يقول "بن يامين"، نحن بحاجة دائماً إلى "التذكارات"<sup>12</sup>، أو إلى أثار ذكريات خارجية، كيما نتذكر حلقات التجارب البسيطة، بيد أنه لا يمكننا أن ننسى أبداً الخبرات الحقيقية، أي الـ"Erfahrung". لذلك اعتبر "بنيامين" بأنه ليست مجرد مصادفة أن ينجذب السائح الحديث إلى التذكارات. من جهتي، ينبغي أن أعترف بأنني غالباً ما أضطر للاطلاع على مذكرتي لأعرف إذا كان نعم أو لا؟ قد ذهبت إلى مدينة ما (لحضور ندوة)، وهو أمر لا يمكنني تأكيده بواسطة "ذاكرتي الداخلية".

بيد أن ما لم يتمكن "بنيامين" من التنبؤ به: حتى التذكارات لا تؤثر فينا إلا إذا كانت هنالك أثار ذكريات منقوشة وعاطفية. بالطبع، تريدون الاحتفاظ بالتذكارات والصور الفوتوغرافية التي تذكركم بحبكم الأول، أو بأول رحلة لكم بمفردكم إلى الخارج. لكننا نَمِلُ أكثر فأكثر من كل التذكارات والصور التي نجتمعها. لم يعد لها شيء نقوله لنا، وتتركنا غير مباليين. لم تعد تملك القدرة على إثارة أي شيء داخلنا، لأنها مجرد أثار خارجية للحظات

وتجارب لم يعد لها أي معنى بالنسبة إلينا. هكذا، نصير -كما قال "بنيامين" قبلاً- أكثر ثراء بحلقات التجربة، ولكن نزداد فاقة إلى الخبرات المعيشة (Erfahrungen). ما ينتج عن ذلك، يظهر الزمان على أنه "يَسْتَمَلِكُ ذاته من الجانبين": إنه يمر بسرعة، ويُمحى من الذاكرة. وهذا ما يمكن أن يمثل التفسير المركزي لشعورنا بالسرعة الكبيرة للزمن في الحداثة المتأخرة. ما يحدث هنا، كما رأينا مع أفعالنا وسلعنا، هو نقص في "امتلاك الزمن"، نحن نفشل في أن نجعل من زمن تجاربنا "زمننا" الخاص: تبقى حلقات التجربة، والزمن المخصص لها، غريبة عنا. بيد أن، الافتقار إلى تملك أفعالنا الخاصة وتجاربنا الخاصة لا يقود إلا إلى أشكال أكثر -أو بالأحرى أقل- صرامة من الاغتراب الذاتي.

2. 5 الاغتراب تجاه الذات والآخرين: هكذا، بمعنى ما، يقود التسارع ببساطة وبشكل مباشر في البداية إلى التفكك (désintégration)، ثم إلى تآكل الارتباط: نحن نفشل في إدماج حلقات أفعالنا وتجاربنا (والسلع التي نقتنيها) داخل الحياة ككل، وبالمحصلة نصبح أكثر انفصالاً، وأكثر تباعداً عن أزمنة وأمكنة حياتنا، وأفعالنا وتجاربنا، والأشياء التي نعيش ونعمل بها. وليس من المفاجئ أن هذا الأمر يصدق أيضاً على العالم الاجتماعي. كما قال "كينني جيرغن" "Kenneth Gergen"، بشكل مُقْنِعٍ، يُقابل كائن الحداثة المتأخرة الكثير من الأشخاص الآخرين (في العمل، في الهاتف، عبر البريد الإلكتروني، ... الخ) في وقت قصير على نحو يصير "مشبعاً" تماماً: "في مجتمع وجهها لوجه، يبقى مجموع الأشخاص الآخرين الذين يُقابلهم مستقراً نسبياً. لقد كان هنالك تغييرات حصلت من خلال الولادات والوفيات، بيد أن الانتقال من مدينة -بل وأكثر من ذلك من دولة أو وطن- إلى أخرى كان أمراً صعباً. هذا ما يتناقض بقوة مع عدد العلاقات المشتركة التي يتم الحفاظ عليها في عالم اليوم. يمكن للموظف العادي، باحتساب عائلته ونشرة الأخبار الصباحية، وراديو السيارة، والزلاء في القطار والجريدة المحلية، أن يُقابل خلال الساعتين الأولى من اليوم، الكثير من الأشخاص المختلفين (من حيث الرؤى والصور) كان يقابلهم سلفه في مجتمعه خلال شهر.

"من خلال تكنولوجيا العصر يزداد بانتظام عدد ونوعية العلاقات التي ننخرط فيها، ووتيرة العلاقات المحتملة، وشدة العلاقة واستمرارها عبر الزمن. هذه الزيادة وصلت إلى أقصى حدٍ لها، حيث وصلنا إلى حالة تشبع اجتماعي".

والمحصلة، تصبح عملية "إقامة علاقة" مع الغير شيئاً غير متوقع من الناحية البنيوية. فإذا كنتم في عجلة من أمركم، يمكنكم دائماً أن تكونوا على استعداد لتبادل المعلومات مع الآخرين والتعاون معهم على أسس أدائية بشكل واسع أو أقل، ولكن الشيء الأخير الذي قد ترغبون فيه هو أن تنصتوا إليهم وهم يروون حياتهم أو مشكلاتهم الخاصة. لنذهب لنتناول كأساً، نعم لكن لنحاول ألا نتحدث في مسائل شخصية، ولا إقامة علاقات عميقة، بالمعنى الحقيقي لـ "محاور الصدى". هذه العلاقات الأخيرة تستغرق وقتاً طويلاً للتشكل وتسبب ألماً حينما تنهار -شيئان إشكاليان في عالم تتغير فيه اللقاءات بسرعة.

وحقيقة أن الاغتراب الذاتي خطراً وشيك في مجتمع التسارع الحديث المتأخر هو أمرٌ يكاد يكون واضحاً انطلاقاً مما بيّنته حتى الآن. لئن كنّا مغتربين تجاه المكان والزمان، فضلاً عن اغترابنا عن أفعالنا الخاصة وتجاربنا، واغترابنا تجاه شركائنا في عملية التفاعل، فلا يمكننا الإفلات إلّا بصعوبة من الشعور باغتراب عميق عن الذات. لأنه، كما بين "تشارلز تايلور" وآخرون شاركوا في النقاش حول الجماعية المدعوة ليبرالية (وآخرون قبلهم)، بطريقة مقنعة، ينبثق ادراكنا لذواتنا، اذن، من أفعالنا وتجاربنا وعلاقتنا، والكيفية التي نتوضع فيها (ونحن من يضع أنفسنا فيها) في العالم الاجتماعي والزمكاني الذي يشتمل على عالم الأشياء. تُشكل كل حلقات الفعل والتجربة التي مررنا بها، وكل الخيارات المتاحة لنا، والأشخاص الذين نعرفهم، والأشياء التي امتلكنها، موادّ أساسية للعديد من الروايات التي بوسعنا نسجها عن أنفسنا، والكثير من القصص التي يمكن اعدادها لتحديد هويتنا. ومع ذلك، لا واحدة من تلك القصص تبدو أنها حاسمة، لأن لا واحدة منها مناسبة تماماً. (وليس من المفاجئ البتة أننا بالكاد نرغب في الاستماع إلى قصص حياة الآخرين)، من نكون؟ وكيف سنشعر دون الأشياء التي تتوقف على السياقات التي نتطور فيها؟ والتي تبدو فيها عاجزين عن دمج هذه الأسقية في تجربتنا وفعلنا؟ هذا ما سيقود بسهولة -كما اقترح "ألان إيرنبرغ" "Alain Ehrenberg" - إلى "استنفاد الكائن" أو حتى إلى الاحتراق النفسي والاكتئاب. فإذا كانت أهمية ما نحبه هي ما تُشكّل هويتنا، فإن فقدان هذا المعنى، وفقدان تراتبية دائمة للأهمية والتوجه، لا يمكن إلا أن يؤدي إلى تشوه في العلاقة مع الذات. إن الاغتراب عن العالم والاعتراب عن الذات ليسا أمرين منفصلين، بل وجهان لعملة واحدة. ويستمر هذا الاغتراب عندما تصبح محاور الصدى بين الذات والعالم صامتة.

3. خاتمة: (المترجم) إن أهمية المقاربة النقدية الأخلاقية كما عرضها "هارتموت روزا" في هذا النص، لا ترجع الى قدرتها على طرح منظورية جديدة مكتملة عن النظرية النقدية، بل إلى ايمانها العميق بضرورة نقد البنى الزمانية في المجتمعات الحداثية المتأخرة بقدر ما تُنتج هذه المجتمعات من صور للاغتراب. والكشف، فضلاً عن ذلك، عن تناقضات الحداثة؛ فمشروع التحديث هو "مشروع استقلالية"، بيد أن الحداثة المتأخرة، وتحت تأثير من التسارع -كظاهرة مميزة لها- تُقيد الذوات وتحرمهم من القدرة على الاختيار، ومن ثم من الاستقلال الذاتي. وهذه صورة المفارقة داخل هذه المجتمعات. فالاغتراب بهذا المعنى هو نقيض لمفهوم الاستقلال الذاتي، لذلك، عمل "هارتموت روزا" على توسيع أطروحة الاغتراب كما صاغها "ماركس" وفهمها في ضوء قوى التسارع الاجتماعي المهيمنة، لتشمل ليس اغتراب الانسان تجاه أفعاله والأشياء، والطبيعة والعالم الاجتماعي، بل الزمان والمكان أيضاً. بيد أنه، مهما تعددت صور الاغتراب التي حددها "هارتموت روزا" في هذا النص فهي ترجع في النهاية الى صورتين رئيسيتين: الأولى ذات صلة بهدف الحداثة والمشروع الأنواري، وهو الاستقلال الذاتي أو التحديد الذاتي للأفراد بغرض تحقيق الحياة الجيدة. والثاني يرتبط بتشوه العلاقة "أنا-عالم". وعلاج مختلف أنواع الاغتراب ليس هو التباطؤ بل الصدى. والصدى يعني إقامة علاقة أصيلة مع العالم، أي علاقة معرفية

وعاطفية وجسدية بالعالم حيث تتأثر به الذات كلياً أو جزئياً، ثم تستجيب له بالفعل فيه على نحو عيني حتى تحقق فعاليتها. لذا فإن الصدى هو من جهة: انفتاح على العالم أو هو القدرة على استضافة العالم والتأثر به، ومن جهة أخرى: القدرة على الفعل على العالم والتعرف على نشاطنا فيه. وفي مقابل علاقة الصدى الأصلية بالعالم تحدث "روزا" عن علاقة صامتة وباردة تختزل في بعدها الأداتي، وهي علاقة سلبية بالعالم؛ فالصدى يجعلنا نخبر العالم كعالم متجاوب ومنفتح وجذاب، لا كعالم منفر وخطر\*\*\*.

#### 4. قائمة المصادر والمراجع:

1. هشام معافة: قضايا ودراسات في الفلسفة الغربية الراهنة، من النظرية إلى التطبيق، الفا للوثائق، قسنطينة، الطبعة الأولى، 2023.

2. Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps, traduit de l'allemand par Didier Renault, Editions La Découverte, Paris, 2010.

3. Hartmut Rosa, Rendre le monde indisponible, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Editions La Découverte, Paris, 2020.

#### 5. الهوامش:

\* - (المترجم): اقتطف هذا النص من كتاب:

- Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps, traduit de l'allemand par Didier Renault, Editions La Découverte, Paris, 2010, p 114-135.

\*\* - (المترجم): تقوم علاقة الانسان بالعالم حسب تصور "ماركس" على تشكيل العالم (أي الطبيعة التي تحيط بنا) من أجل تملكه، بمعنى من أجل المأكل والملبس والمأوى ... الخ وخلافا لما يحدث بالنسبة إلى الكائنات الحية الأخرى، تمر هذه العملية لدى الكائن الإنساني من خلال العمل وإعادة تشكيل الطبيعة. فالعالم منظور كمادة أولية، ومنتوج انتجناه نحن، وكسلع نستهلكها لا يشكل موضوعاً سوى للتملك ولم يعد موضوعاً للاستيعاب: ما ينتجه العمال في النظام الرأسمالي ليس ملكاً لهم، إنهم مغتربون عن منتوج عملهم، ولما كانوا عاجزين عن تقرير الأهداف ووسائل وأشكال الانتاج فهم مغتربون أيضاً عن سيرورة العمل. ولأنه لا تظهر لهم الطبيعة التي يشكلونها -في هذه الحالة- إلا في صورة مادة أولية أو موضوع نجعله في صورة قابلة لأن تدمج في الاقتصاد، فهم مغتربون أيضاً ازاء الطبيعة. وهذا ما يجعلنا ندرك مكانة الاغتراب، بالنسبة لكارل ماركس، إلى درجة أنه يستعيد صيغة "وليام بيتي" "William petty" التي يعتبر بموجبها أن العمل هو الأب، والطبيعة أو الأرض هي أم الكائن الإنساني، لذلك فإن الأمر يتعلق اذن بالاغتراب المتزامن للأب والأم. وجوهر وجودهم هو اللقاء بين الذات والعالم في العمل، إلا انه يستحل بالنسبة للناس إلى مجرد وسيلة خارجية بسيطة لضمان وجودهم: أي مجرد معيل. فضلاً عن ذلك ترجع العلاقة المغترية بالعالم الاجتماعي إلى كون الأفراد يتموقعون الواحد في مواجهة الآخرين ضمن علاقة تنافسية ثابتة ووجودية، فهم يتواجدون بطريقة قبل مهيمنة في وضعية منافسة واذن في عدائية كامنة. لكن هذا الأمر ينتج في نهاية الأمر من اقتراب مستمر تجاه الذات نفسها. أكد ماركس أن العلاقة التي يؤسسها الفرد مع ذاته والعلاقة التي يطورها مع العالم تعتمد دائماً الواحدة على

الأخرى، فدون علاقة اتصال بالعالم لن تكون هناك علاقة ناجحة مع الذات والعكس صحيح. عندما نشعر بأننا غرباء عن ذاتنا لا يمكننا استيعاب العالم، وبالنسبة للشخص الذي أصبح العالم أصما بالنسبة إليه وصامتا فهو يفقد أيضا الإحساس بذاته. إلا أن ماركس المتأخر؛ مؤلف رأس المال، يعتبر أن عمل الأجير الناتج عن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج كان هو السبب في الاغتراب، بينما يظهر ماركس الأول حول هذه المسألة بالذات على أنه غامض بشكل كبير. في البعض من النصوص أو الكتابات الاقتصادية الفلسفية يمكن قراءتها كما لو كانت علاقة اغتراب بالعالم - علاقة أصبح العالم بموجها مجالا للعنف والعدوان.

- Hartmut Rosa, *Rendre le monde indisponible*, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Editions La Découverte, Paris, 2020, p 30- 31.

<sup>1</sup>- ريتشارد شاخ: الاغتراب، منشورات سويل، جاردن سيتي، 1971؛ رحيل جيحي، الاغتراب. حول راهنية مشكلة سوسيو-فلسفية، كامبيس، فرانكفورت 2005.

<sup>2</sup>- بول فاليريو: القصور الذاتي القطبي، مرجع السابق. سرعة التحرير، مرجع سابق.

<sup>3</sup>- أنطوني غيدن: نتائج الحداثة، أرمطان، باريس، 1994، (ترجمة، أوليفي ماي).

<sup>4</sup>- مارك أوجي: اللا مكان، مرجع سابق.

<sup>5</sup>- تلمان هابرماس: الأشياء المحبوبة، رموز وأدوات تشكيل الهوية، سوركامب، فرانكفورت، 1999.

<sup>6</sup>- تشارلز تيلور: العصر العلماني، مرجع سابق.

<sup>7</sup>- أنا جد واع بأنه ليست بهذه الطريقة يقدر المؤمنون دينهم. انهم لا يختارون الله، بل يختارهم الله، ومن هذا المنظور، تبقى العلاقات الدينية علاقات قبل حداثية.

<sup>8</sup>- بالنسبة للأدلة الإحصائية، ارجع الى، هارتموت روزا: التسارع، مرجع سابق، ص 153- 170.

<sup>9</sup>- ارجع الى، روبر كوبي وميمالي تشيكسزنتيمالي: التلفزيون وجودة الحياة: كيف تشكل المشاهدة التجريبية اليومية، دار النشر لورانس ايرليباوم أسوشيتس، هيلسدل (نيوجرسي، و م أ)، 1990.

<sup>10</sup>- من أجل محاولة إعطائه معنى، ارجع إلى هارتموت روزا، التسارع، مرجع سابق، ص 170.

<sup>11</sup>- مايكل ج. فلاهري: اناء مراقب، كيف نختر الزمن، مطبعة جامعة نيويورك، نيويورك، 1999.

<sup>12</sup>- مترجمة مباشرة عن الكلمة الإنكليزية تذكارات، التي تعني بوضوح الأشياء التذكارية، والتي ترتبط في أغلب الأحيان بالسياحة. وفي كل هذه الفقرة فان هذه الأشياء التي تعبر عنها كلمة "تذكارات" [NDT].

\*\*\*- (المترجم): استخدم روزا مفهوم الصدى كعكس للتسارع وما يخلفه من اغتراب مرتبط بتآكل الهوية الذاتية وتشوه العلاقة أنا-عالم.

<sup>13</sup>- هشام معافة: قضايا ودراسات في الفلسفة الغربية الراهنة، من النظرية إلى التطبيق، الفا للوثائق، قسنطينة، الطبعة الأولى، 2023، الهامش، ص 61.